



قصة خيالية

في زمنٍ بعيدٍ جاءَ شابٌّ سمينٌ إلى إحدى الغاباتِ، وكانَ يمشي مُجهداً؛ فقدَ نالتَ منه الرحلةُ الكثيرَ منَ الوقتِ والجهدِ، فرأى شجرةَ تفاحٍ كبيرةً، وارفحةَ الظلِّ، عظيمةَ الجذعِ، كثيرةَ الثمارِ اليانعةِ، فقررَ أنَ يستريحَ تحتها، ويأكلَ منَ ثمارها، ثمَّ يستأنفَ رحلتهِ، فألقىَ بجسمه متكئاً على جذعِ الشجرةِ، وفجأةً سمعَ صوتاً يقولُ: آه، آه، آه!، أيُّها السمينُ لقدَ أوجعتني، ترفقُ بي رجاءً!، نظرَ الشابُّ حولهَ باحثاً عن مصدرِ الصوتِ، فلمَ يجدْ أيَّ شخصٍ!، فقالَ متعجباً: منَ هذا الذي يتكلمُ؟! فقالتَ الشجرةُ: أنا التي أمامك أيُّها الشابُّ، ألا تراني؟ فتعجبَ وقالَ: معذرةً أيُّها الشجرةُ! لمَ أكنُ أعلمُ أنكِ تشعرينَ، واحمرَّ وجهه خجلاً منها، فقالتَ: ومنَ أوهمكمُ يا معشرَ البشرِ أننا لا نشعرُ؟! حسناً لا بأسَ أيُّها الشابُّ، فهمني الذي أحمله هو الذي جعلني أصرخُ منَ اتكائكِ عليَّ، فأنتَ حتماً لنَ تؤلمني بقدرِ ما سيحدثُ لي غداً، أوه يا إلهي!، وبدأتِ الشجرةُ تبكي.

اقتربَ الشابُّ منها وسألها: وما الذي سيحدثُ لكِ غداً؟ قالتَ: سيأتي صاحبُ الكوخِ -الذي يسكنُ في أولِّ الغابةِ- ليقتلعني ويحولني إلى كوخٍ آخر!، وسأفقدُ حياتي وثماري!، آه يا ربَّاه أنقذني!. ففكرَ الشابُّ كيفَ يمكنُ أنَ يساعدَ الشجرةَ؟، ثمَّ قالَ لها: سأعودُ إليكِ بعدَ ساعةٍ، ومضى إلى السوقِ وعادَ إلى الشجرةِ وهوَ يحملُ برميلاً صغيراً منَ الدهانِ، فسألته: ما هذا؟ فقالَ: هذا دهانٌ شفافٌ، وسأدهنكِ بهِ تماماً حتى

تختفي؛ فلا يراكِ صاحبُ الكوخِ، ففرحتِ الشجرةُ كثيراً، ومضى الليلُ كلُّه **والشابُّ** يدهنُ الشجرةَ وأوراقها وثمارها، فلَمَّا أشرقتِ الشمسُ استلقى قربَ الشجرةِ بينَ الحشائشِ حتَّى لا يراه أحدٌ، وبعدَ ساعتينِ جاءَ صاحبُ الكوخِ وبيدهِ فأسٌ ضخمةٌ، واقتربَ منَ موقعِ الشجرةِ حسبَ ما كانَ يعرفُ، وأخذَ يحكُّ رأسه وذقنه ويقولُ: أينَ الشجرةُ الضخمةُ التي كانتَ هنا؟! أيعقلُ أني أضعتُ المكانَ؟!، ثمَّ ألقى فأسه على الأرضِ وراحَ يبحثُ عنَ الشجرةِ، فجاءَ **الشابُّ** ودهنَ الفأسَ أيضاً بالدهانِ الشفافِ وهو يضحكُ، ثمَّ عادَ صاحبُ الكوخِ وهو محتارٌ في أمره، وتذكرَ فأسه وراحَ ينظرُ بالقربِ منه فلم يجدْها، فتعجبَ وتساءلَ: أتراني جئتُ بالفأسِ معي أم نسيْتُها في البيتِ؟! أوه، ما هذا اليومُ الغريبُ! حسناً يبدو أني نسيْتُها فعلاً، سأذهبُ إلى البيتِ لأحضرَ الفأسَ، ثمَّ أنتقلُ إلى الجهةِ الأخرى منَ الغابةِ؛ لعلِّي أخطأتُ المكانَ، فذهبَ صاحبُ الكوخِ إلى آخرِ الغابةِ، وبهذا تخلصتِ الشجرةُ منَ الموتِ المحققِ.

شكرتِ **الشجرةُ الشابَّ** الطيبَ، ووعدته بأن تكافئه بعد أن يغسلَ الدهانَ الشفافَ عنها، فأتى بخرطومِ ماءٍ وغسلَ الشجرةَ، ورواها وما حولها، **فقالتُ**: لديَّ لكِ مكافأةٌ ثمينةٌ جداً، وهي تفاحةٌ ذهبيةٌ 🍏، **ففرحَ الشابُّ** فرحاً شديداً، وشكرَ الشجرةَ على سخائها، وأصبحا منَ هذه اللحظةِ صديقينِ حميمينِ.



ذهب الشاب إلى قرية مجاورة، فباع التفاحة وكسب منها مالا وفيرا، فاشترى بيتا صغيرا، وملابس جديدة، وصار يتفنن في صنوف الطعام ليلا ونهارا، حتى زاد وزنه ضعفا، وثقلت حركته، ثم تأمل يوما في حاله وقال: إلى متى سأظل هكذا آكل فقط، بلا عمل ولا زوجة ولا هدف في الحياة؟! ثم انتبه إلى أن ماله لم يبق منه إلا القليل، ولا بد أن يبحث عن عمل. فخرج في صباح اليوم التالي ووجد عملا عند أحد تجار المدينة، فصار بائعا في أحد محلاته، وبعد شهر سمع أن لهذا التاجر ابنة ذات أخلاق عالية، وعلم من أبيها أنه لن يزوجه إلا لرجل شهيم صاحب مروءة، ولن يزوجه أبدا ممن يطعم في مالها. رغب الشاب في الزواج بها، وبات ليلته متسائلا: هل سيوافق أبوها على زواجي بها أم لا؟ ويا ترى كيف هي ملامحها؟

وفي الصباح عزم في نفسه أن يخطب الفتاة، فذهب للعمل كالمعتاد، وحاول التلطف أكثر مع والد الفتاة الذي يعمل عنده، ولم يحدثه بعد، وفي المساء ارتدى الشاب أجمل ما لديه، واشترى هدية لطيفة، وذهب إلى بيت التاجر، فطرق الباب ودخل إلى مجلس الضيوف، فانبهر بجمال البيت وسعته وأثاثه، ثم جلس، فجاء صاحب البيت ورحب به، وبعد دقائق فاتح الشاب السمين والد الفتاة بموضوع الخطبة، فتعجب التاجر واحتار في الأمر، وقال في نفسه: هذا الرجل سمين جدا، وحركته بطيئة، ولا يصلح أن يكون زوجا لابنتي؛ لأن حالتها خاصة!، وكان والد الفتاة يخفي أمرا ما بخصوص ابنته، فقال للخاطب: بصراحة أنت شاب خلوق، ولكنك سمين جدا، ولا تصلح بتاتا أن تتزوج من ابنتي، فقال الشاب: ولماذا يا عم؟ وما الضير أن أكون

سميناً؟! فقال التاجر: وقد بدا على وجهه أنه يخفي أمراً: الحقيقة أن الشخص السمين بطيء الحركة، وعرضة للأمراض الكثيرة، ولا أريد لابنتي أن تشقى في حياتها. أعتذر منك يا ولدي. فخرج الشاب مكسور الخاطر، وراح يمشي ويمشي حتى وصل إلى صديقته الشجرة، وقصَّ عليها كلَّ ما جرى. فقالت له: ولماذا أنت حزين؟ الأمر يسيرٌ جداً. فقال: وكيف؟ قالت: عليك بالرياضة يومياً، حتى يعودَ وزنك طبيعياً، وحينها ستكسبُ مرتين: صحتك والزوجة. اقتنع الشاب بالفكرة، وعزم على تنفيذها. فافترحت عليه الشجرة أن يتسلقها يومياً عدة مرات، ويجري في الغابة عدة ساعات في اليوم، ففعل ذلك، وبعد شهرين صار الشاب السمين ممشوق القامة، وتغير شكله، وصار جميلاً جداً وحيوياً، فشكر الشجرة وقال لها: الليلة سأذهبُ إلى التاجر بعدَ تغيبِ عنه، وسأخطبُ ابنته مرةً أخرى، ولنَ يرفضَ حتماً فقدَ حققتُ له شرطه.

وقبل أن يمشي نادته الشجرة وقالت له: خذْ هذه التفاحة الذهبية 🍏 هديةً لك؛ لتشتريَ منها ملابسَ تناسبُك؛ فملابسُك القديمة فضفاضةٌ عليك الآن، ولتتمكنَ أيضاً من دفعِ المهرِ وشراءِ الهدايا. فطارَ الشاب من الفرح، وراح يقبلُ الشجرة ويضمُّها وهي تضحك وتضحك.

ذهبَ الشاب إلى بيتِ التاجر، وهو محمّلٌ بالهدايا، وبعدَ أن رحبَ به التاجر، جلسَ ينظرُ إليه وهو مترددٌ في نفسه فقال: كأيِّ أعرفك أيُّها الشاب، هل تقابلنا قبلَ هذا الوقت؟ فقال الشاب: نعم، نعم، أنا الذي كنتُ أعملُ لديك، وخطبتُ ابنتك، فرفضتني بسببِ سميني، فما أنا ذا، عدتُ رشيقياً كما ترى، وأظنُّ أنني أهلٌ لأن توافقَ عليّ.

فأعجبَ التاجرُ بعزمه وصبره كثيرًا، وقالَ في نفسه: هذا حقًّا الشابُّ الذي يليقُ بابنتي، وسيتكمنُ من رعايتها كما ينبغي، فقالَ التاجرُ له: ما شاءَ اللهُ، تبدو رائعًا جدًّا، لقدَ تغيرتَ كثيرًا، إن زوالَ أرتالِ الشحمِ التي كانت تكسوكَ أظهرتَ جمالكَ المخبوءَ، أما الآنَ فإنني موافقٌ على زواجك بابنتي، إذ لن تجدَ أفضلَ منك. سرَّ الشابُّ الطيبُ سرورًا بالغًا، وحددَ له التاجرُ يومًا لرؤية مخطوبته، والتعرفِ على بعضهما.

بعدَ يومين جاءَ الشابُّ ورأى مخطوبته وهي جالسةٌ في مجلسِ الاستقبالِ، دخلَ هو وأبوها عليها، فأعجبَ بها كثيرًا، وقالَ في نفسه: كم أنا محظوظٌ والله الحمدُ، ثم ألقى السلامَ عليها وردتْ عليه، وجلسَ دقائقَ وهو ينظرُ إليها، ولكنه لاحظَ أنها لا تنظرُ إليه، فأخذَ يسألها عن بعضِ شؤونها، فكانتَ تجيبُ وعيناها لا تنظرُ تجاهه، فتعجبَ! وقالَ في نفسه: ما بالها لا تنظرُ إليّ؟! ولا نظرةً واحدةً؟! أكلُّ هذا حجلٌ؟! نظرةً واحدةً فقطً لثرائي!. ثم أخذَ كوبَ العصيرِ ومدَّه إليها لعلَّ عينيهاا تلتقيان، وقالَ: لقدَ شربتُ عصيري ولم تشربي أنت، خذي، فمدتْ يدها إلى غيرِ اتجاهِ يده! وراحتْ تتلمسُ في الهواءِ! فصدَمَ الشابُّ وقالَ: يا ربِّاه! أتكونُ الفتاةَ عمياءَ! لا ترى! غيرُ معقولٍ! فسألها: هل ترينني؟ فردتْ بكلِّ ثقةٍ: لا، لا أراك، أنا فتاةٌ عمياءُ. صعقَ الشابُّ ورأى أنَّ أحلامه قد انهارتْ، فتوجَّهَ إلى أبيها في المجلسِ وسأله: لماذا خدعتني وأخفيتَ عني أنها عمياءُ لماذا؟! لماذا!؟

فأمسكَ التاجرُ بكتفي الشابِّ وأجلسه مرةً أخرى وقالَ: سأحكي لك كلَّ القصةِ، ولكَ الحريةَ بعدَ ذلك، وتأكدُ بأنني لم أرِدْ خداعك إطلاقًا.

تعلّم يا بنيّ أني رجلٌ تاجرٌ وليس لي سوى ابنتي هذه، وقد ربيتها على أفضل مراتب الأخلاق، وقد أصيبت بحادثٍ قبل سنواتٍ أفقدها بصرها، وسعيتُ في علاجها ولكن دون جدوى، وقد خطبها مني الكثير من الرجال، ولكن للأسفٍ كلهم يريدونها طمعاً في ثروتي لا غير، وأنا أخشى عليها أن تُظلم وتُشقى في حياتها، فجعلتُ شرطاً زواجها ألا يكون المتقدم طامعاً في مالها، ولمّا اخترتُك في شأنِ سمينك وجدتك صادقاً في طلبك الزواج بها، وخبأتُ في نفسي أني سأخبرك بأمرها ثم لك الخيار، وأنا أعلمُ أنّ الأمر شديداً لكن يبقى الرأي رأيك. هداً الشاب وقال للتاجر: حسناً يا عمي، سأترى في أمري، ثم أزورك مرةً أخرى، ويقدرُ الله ما يشاء.

خرج الشاب هائماً على وجهه، وصورة الفتاة تلوح له على صفحة القمر، وأخذ يمشي ويفكر، ووجد في نفسه رغبةً قويةً في الزواج بها، ليس لجمالها فقط بل لما سمع عن ذكائها وطبعها الذي ناسبه كثيراً، لكنه متوجس من فقدها لبصرها كيف يمكن أن تكون الحياة؟

ذهب إلى صديقه الشجرة وقص لها ما حدث، فقالت له: يا لك من رجل! أتعجز عن هذا الأمر الهين؟ فتعجب وقال: وهل فقدها لبصرها أمر هين أيتها الشجرة؟! تخيلي أنك تعيشين في ظلامٍ دامسٍ، كيف يكون شعورك؟ آه، اني تعس لأجلها، وليس لأجلي فقط، لا أحتملُ أنها تظل حبيسةً عينيها، وحبيسةً دارها، لا تخرج لنزهة، ولا تقرأ ولا تمارسُ أيّ عملٍ تقضي به وقت فراغها. ثم تقولين: أمر هين! إنك شجرة ولا تفهمين هذه المعاني عندنا نحن البشر، فأعدت الشجرة قولها: نعم، إنه هين وأنا أعني ما أقول.

فقال: يبدو أنك جادة أيتها الشجرة، فهل لديك حلٌّ لهذه المشكلة؟ **قالت:** نعم، لديّ حلٌّ بإذنِ الله، انظر، بما أنها أصيبت بالعمى قبلَ سنواتٍ، فهذا يدلُّ أنّ مرضها طارئٌ، وقد سمعتُ أن في القرية التي في شمالِ الغابةِ طبيبٌ حاذقٌ، بإمكانك أن تعالجها عنده. ففكرَ **الشابُّ** بهذا الحلِّ، وسرَّحَ بخياله ورأى مخطوبته وقد عادَ بصَرها إليها وهما ينظران لبعضهما.

ذهبَ **الشابُّ** في اليوم التالي إلى والدِ الفتاة وقالَ له: أنا موافقٌ على الزواجِ بها يا عمي، وسأقومُ بالبحثِ عن علاجٍ لها، ولو دفعتُ عمري كَلَّه لأجلِ نورِ عينيها، وأخبره بما سمعه عن الطبيبِ في شمالِ الغابةِ، فسرَّ الأبُّ وبكى من فرحته، وضمَّ **الشابُّ** إلى صدره وقالَ: أنتَ حقًا رجلٌ شهيمٌ؛ آثرتَ ابنتي على نفسك، حسنا، سيكونُ الزفافُ بعدَ أسبوعٍ، وسأعطيكَ نصفَ ثروتي لتعالجِ ابنتي، ونصفها الآخرَ سأهبُه لكما لتعيشا سوياً في هناءٍ ورغدٍ. فقالَ **الشابُّ:** معذرةً يا عمي، فأنا أريدُ ابنتك فقط، وعهدتُ عليّ أن أنفقَ عليها من جيبِي.

تزوجَ العروسان في حفلةٍ يسيرةٍ، وبعدَ أسبوعٍ من زواجهما رحلا إلى القرية التي يسكنُ فيها الطبيبُ، ومرا على الشجرةِ، فقالَ **الشابُّ للشجرة:** انظري هذه عروسي، وفتاةٌ أحلامي ويقظتي أيتها **الشجرةُ**، فسألته زوجته: مَنْ تخاطبُ يا زوجي الحبيبُ؟! فقالَ: لا، لا أحدَ يا عزيزتي!، أكلمُ نفسي فقطً لشدةِ فرحي بكِ، هه، هه.

ثم اقتربَ من **الشجرةِ** وهمسَ لها: أنا ذاهبٌ الآن إلى شمالِ الغابةِ، أراك على خيرٍ، فقالتُ له: انتظر، خذْ هذه التفاحةَ 🍏 لك، فالرحلةُ طويلةٌ، وستحتاجُ إلى مالٍ كثيرٍ،

فقال: أيتها الشجرة أنا رفضتُ مالَ أبيها لأعتمدَ على نفسي، **فقالت:** هذه آخرُ تفاحةٍ ذهبيةٍ لديّ، أهبها لكِ جزاءً أنْ أنقذتِ حياتي. فشكرها وأخذتِ التفاحةَ ومضتْ إلى رحلتها.

وصلا إلى القريةِ وسألَ **الشابُّ** عن الطبيبِ وزاره، وقامَ الطبيبُ بالكشفِ على عيني الزوجةِ، وبشرهما أن هناكَ علاجًا لمرضها، لكنه باهظُ الثمنِ، فقالَ **الشابُّ:** لا يهمُّ، سأشتريه بما يكونُ، المهمُّ عيونُ زوجتي. باعَ **الشابُّ** التفاحةَ الثالثةَ، واشترى الدواءَ لزوجتهِ، وبقياً في القريةِ ثلاثةَ أشهرٍ يراجعانِ الطبيبَ، وفي الجلسةِ الأخيرةِ أزالَ الطبيبُ الضمادَ عن عيني الزوجةِ، وكانَ زوجها يقفُ بجانبها، وهي تضمُّ كَفَّهُ بينَ كفيها متوجسةً، ثم فتحتْ عينيها ورأتْ -أولَ ما رأَتْ- زوجها **الشابَّ** الطيبَ، ففرحاً كثيراً، وسجداً لله شكراً على نعمه العظيمةِ، وعادا إلى قريتهما، وأقامَ والدُها لهما احتفالاً كبيراً.

ولم ينسَ **الشابُّ** تلكَ **الشجرةَ**، فبشرها بالأمرِ **فقالت** له: إنك رجلٌ طيبٌ، وتحبُّ المعروفَ لذا كافأك اللهُ على إحسانك. وعاشَ الزوجانِ حياةً طيبةً.

الحقوق محفوظة للمؤلفة

مسموح نشر القصة كما هي.

مجلد الكسري

فنّ القصة

القصة أحد فنون الأدب بكل لغاته، وعلى مرّ التاريخ وُضِعَ للقصة حدود وأسوار وشروط لكتابتها، للوهلة الأولى يظن الدارس أن هذه الشروط قيودٌ، ولكن عندما لا تلفت إليها وتخوض التجربة بنفسك ستجد أنك تأتي -غالباً- بالشروط كما هي، فأنت تكتب القصة في زمن وهناك مكان للأحداث ولديك شخصيات ولديك موضوع تريد التنبيه عليه، غير أن تفاصيل هذه الشروط والأركان للقصة هي التي يتناولها النقد، وتبقى ساحة النقد واسعة للجميع، فليس هناك رأي قطعي بالصواب أو الخطأ، فالذوق هو الحاكم وهذا الذي أميل إليه. والقصة لها مستوى معين لتحظى بالقبول الأول، فليس كل قصة هي قصة من زاوية أدبية، فالتسطيح للمعاني والأحداث، أو خلوّ القصة من القيم، أو أن تكون القصة مجرد إملاءات لقناعات معينة دون تحريك لذهن المتلقي... كل هذا وغيره لا يليق أن يكون اسمه قصة بالمعنى الأدبيّ.

كتبت هذه القصة قبل ثلاث سنوات تقريباً، دون ترتيب مقصود لأحداثها، وإنما تراءت لي صورة شاب سمين يتهادى في مشيه، ثم أخذت قلّمي وبدأت أنسج الأحداث كما تداعت في ذهني، أقدمها لك لنحرك سوياً ماء الإبداع. ستلاحظ علامة الإعراب تتجلى أواخر الكلمات، وهذا مقصود، ستلاحظ وضوح العبارة وسلاسة تواكب الأحداث، وهذا مقصود، ستلاحظ الخيال يعمل، فالشجرة تتكلم، والتفاح من ذهب، والطلاء الذي يُخفي، وهذا مقصود. لم؟ لأن القصة كُتبت للطفل.

شاركني عزيزي القارئ قراءتك الصوتية للقصة، وإقراءها من حولك من الصغار، ثم إن كنت مهتماً بالكتابة فشاركني قصة خيالية من نسج أفكارك أو من نسج أفكار أطفالك، على أن لا تزيد عن صفحتين، وأرسلها لي على بريدي المدون أعلاه، شاكرة لك.

نجلاء جعفر الكثيري

0550200296

@Na3697